لم يبرز للعثمانيين وجود تاريخي قبل القرن السابع الهجري/12م؛ ولذلك نسجت حول أصلهم وأوائلهم الكثير من الأساطير حسب الأهواء والظنون.تسبب الغزو المغولي في هجرة كثير من القبائل التركية من وسط آسيا إلى الأناضول، وتعاظمت هجراتهم بعد انتصار السلاجقة على البيزنطيين في معركة (ملاذكرت) عام 1071م.وتُنسب الدولة العثمانية إلى مؤسسها عثمان بن أرطغرل، الذي ولد عام 656هـ (1258م)، من قبيلة الغز (الأغوز) التركية. في كنف دولة سلاجقة الروم، حوالي عام 618 هـ (1123م)، وظل يتنقل بهم من منطقة أخلاط، ثم انحدر بهم إلي حوض الفرات، ولكنه غرق أثناء عبور النهر، ولا يزال قبره هناك إلى اليوم.تولى زعامة العشيرة بعده ابنه أرطغرلبن سبيمان؛ شمالاً مرة أخرى إلى الأناضول. علاء الدين كيقباد الأول، في حروبه ضد المغول وأبلى هو رجاله بلاءً حسناً؛ فأقطعه السلطان علاء الدين السلجوقي منطقة قراجة طاغ القريبة من أنقرة عام 628هـ (1133م). ويقال أنه أقطعه كذلك بلدتي سوغود ودومانيج، على الحدود مع البيزنطيين، ومنحه لقب (حارس الحدود). فتولى بعده ولده عثمان، سيداً على عشيرته وحاكماً للمقاطعة. وأخذ يشن الغارات والحملات الهجومية على البيزنطيين، ويكسب منهم قلاعاً وقرى ويضمها، ومنحه السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد الثالث جهات إسكي شهر وإينونو،حاصر عثمان مدينة بورصة،وتوسعت منطقة نفوذ عثمان أو إمارته،وفد على عثمان بن أرطغرل كثير من علماء الدولة السلجوقية، التي كانت في طريقها إلى الاضمحلال، وأقبل عليه أمراؤها وأعيانها،يُرجع كثيرٌ من الباحثين نشأة الدولة العثمانية إلى عام 699هـ (1299م)، عندما استقل الأمير عثمان بإمارته الصغيرة عن الدولة السلجوقية.بينما يرجعها البعض الآخر إلى عام 708هـ (1308م)، عندما توفي آخر سلاطين سلاجقة الروم السلطان غياث الدين مسعود الثالث، حيث كانت الإمارة العثمانية تابعة للدولة السلجوقية قبل ذلك.ومع أنّ عثمان بن أرطغرل لم يلقّب بالسلطان أو الخان إلاّ بعد وفاته، وقد حكم 45 عاماً، واستطاع توسيع مملكته من 4800 كم2، عند توليه الإمارة بعد والده أرطغرل، إلى 16 ألف كم2، عام 726هـ (1326م) .اتخذ أورخان بن عثمان (الذي ولد عام 1281م)، الواقعة في أقصى غرب الأناضول، بعد أن تيسر له فتحها قبيل وفاة والده، ثم فتح إزمير عام 1327م، واستطاع بذلك أن يفرض على الإمارات السلجوقية المجاورة، الاعتراف الفعلي بحكمه، تمكنه من هزيمة الامبراطور البيزنطي، الذي حاول استعادة مدينة إزنيق من العثمانيين، وتحرص على عدم البدء بالاعتداء، مع محاولة الوصول إلى البحار المفتوحة والمضايق. طيلة حكم السلطان أورخان، الذي يعد أول أمير عثماني تسمى بلقب السلطان. كوّن جيشاً منظماً، وانضمتبعض الإمارات السلجوقية إلى الدولة العثمانية، التي وصلت حدودها إلى البحر، توسعت الدولة في الجانب الشرقي من البلاد، في فترة حكم السلطان أورخان، وبإشارة من الوزير قره خليل جاندارلي، قانوناً يقضي بتشكيل جيش سمي "الإنكشارية"، وبمقتضى هذا القانون يؤخذ بعض أولاد النصارى، أُرسلوا إلى الثكنات العسكرية في العاصمة؛ ليتولوا الدفاع عن أراضي الدولة دفاعاً مستميتاً.كما وضعت تنظيمات إدارية ومالية، مثل النظام الخاص بإقطاع الأراضي الأميرية، وكيفية تقسيمها على المشاركين في الحرب، التي استقرت قواعد الدولة عليها.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي